٢/٧١١

مكتبة المحبة

الإرادة فى حياة الشاب

www.christianlib.com

١٠٩٠٢ / نكيء
٧١١ / نكمات
١٩٩٩ / ١٩٧٢

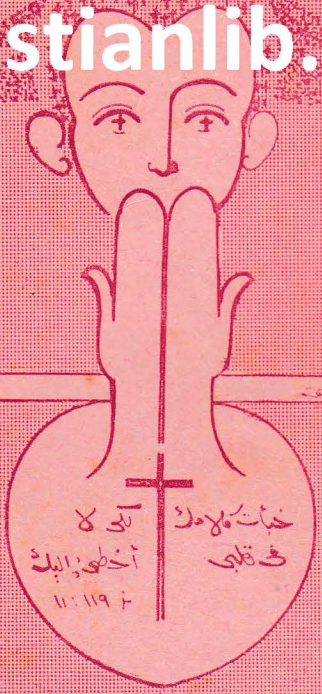

تأليف
كمال حبيب

ندوات ومحاضرات للشباب الجامعى

١٠٩٠٢/نكياع
٢/٧١١
١٩٩٩/١٩٧٢

الإرادة فى حياة الشاب

تأليف

كمال حبيب

المحتوى

١) الإنسان مريد

٢) ما يدعم إرادة الله فينا :

- ✝ الإيمان الاختبارى
- ✝ الحب الإلهى
- ✝ صلب الجسد وقهر الذات
- ✝ الاستماتة فى حفظ الوصية
- ✝ الغيرة فى الحسنى

٣) ما يعطل إرادة الله فينا

- ✝ البر الذاتى
- ✝ كلام الناس والضغط الاجتماعى
- ✝ الإندفاع
- ✝ المفاوضات مع العدو
- ✝ الترف

٤) خاتمـــة .

الارادة فى حياة الشاب

الانسان مريد :

لقد خلق الله الانسان على صورته ومثاله فى الحرية وفى النطق وفى القداسة.. وطالما كان الانسان حرا فهو يتمتع بإرادة كاملة عفيفة .. وهدف هذه الإرادة الحرة أن يستخدمها الانسان لتمجيد اسم الله القدوس . . وبهذه الحرية تظهر كرامة الانسان ومركزه العظيم بين جميع الخلائق .

ولقد بيّن الله لنا فى الكتاب المقدس مقدار إحترامه لحرية الانسان فلم يكن يصنع معجزة مع مقعد مُنذ عشرات السنين إلا ويستأذنه ويسأله عن موافقته . . ولم يكن يجبر إنسانا — وهو القادر — على أن يسير فى طريقه ، ولكنه أعطى لكل واحد من تلاميذه حرية التصرف إلى درجة أن واحداً منهم سلمه لرؤساء اليهود .

إن الله يريد ، ولكن لا بد أن نريد معه أيضاً . . « كم من مرة أردت أن أجمع بنيك كما تجمع الدجاجة فراخها ، ولكنك لم تريدى » إن الله يريد الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون » ولكنه لا يقتحم كيان إنسان ما فقد عبرعن نفسه بالقول « ها أنا واقف على الباب أقرع إن فتح أحد أدخل إليه وأتعشى معه » وفى موضع آخر يقول « من يسمع فليقل تعال ومن يعطش فليأت ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجانا » (رؤ ٢٢ : ١٧) .

فعلى كل إنسان أن يتخذ موقفاً من الله . إما أن يقول لله نعم أو لا . وهنا تبرز أهمية الإرادة ، وفى صلاة الرب يسوع الشفاعية الأخيرة نجد الابن يخاطب الآب قائلا « أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا » . . هذه هى إرادة الرب ، وهدف هذه الإرادة أن ينظروا مجد الرب الذى أعطاه الآب له من قبل إنشاء العالم .. فإرادة الإنسان لاتستريح ولا

تضمن كمالها وعفتها إلا فى إرادة الرب نفسه . وفى هذا يقول القديس أوغسطينوس « أيها الرب لقد خلقتنا لأجلك ولذلك ستظل نفوسنا متعبة وقلقة إلى أن تستقر وتجد راحتها فيك » فإستقرار الإرادة الإنسانية وراحتها وتحقيق كيانها لا يكون إلا فى حياة الشركة مع الله .

ولقد علمنا الرب يسوع فى حياته على الأرض كيف يكون إخضاع الإرادة والمشيئة لله . . إذ أنه وهو معادل للآب ارتضى أن يخلى مشيئته بحريته ليطيع مشيئة الآب بالتمام فأطاع حتى الموت موت الصليب . وفى صلاته للآب يقول : «لتكن لا إرادتى بل إرادتك» . ولقد علمنا نحن أيضا أن نقول فى الصلاة الربانية «لتكن مشيئتك» .

فالخطيئة الأصلية والأساسية فى حياة الانسان هى استقلال الإرادة البشرية عن مشيئة الله . فالتمرد كان خطيئة آدم ، وكان خطيئة الابن الضال وهو لا يزال خطيئة كل واحد فينا لا يريد أن يحنى رقبته أمام وصية الرب ، والكتاب المقدس يحدد بنوتنا لله فى الانقياد للروح القدس وطاعة الوصية ، الذين ينقادون لروح الله فأولئك هم أولاد الله ، وكلما تقدم الإنسان فى عشرته مع الله تطابقت الإرادتان تمام التطابق حتى أنه فى قمة النمو الروحى لا يصبح للإنسان أدنى إرادة أو مشيئة ، ولكن تكون القيادة كلها تماما للرب وحده « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىّ » .

فموضوع الإرادة فى حياة الشاب لا يفهم إلا من خلال إخضاع إرادتنا لمشيئة الله المعلنة فى كتابه ، وفى كنيسته المقدسة ، وبروحه القدوس الساكن فينا ، وكلما تقدم الانسان فى الطريق الروحانى استنار فى تفهم مشيئة الرب .. وفى هذا الصدد ينصح رسول الجهاد المؤمنين قائلا « لا تكونوا أغبياء بل فاهمين ما هى مشيئة الرب » وتدريب الحواس الداخلية على التعرف على مشيئة الله التى هى موضوع الجهاد الروحانى ، والتغصب فى إخضاع الإرادة البشرية للارادة الالهية هو هدف هذا الجهاد وموضوعه وبدايته ونهايته .

ما الذى يدعم إرادة الله فى حياة الشباب ؟

لعل أول ما يعطى لإرادة الله أن تعمل فينا هو :

✝ الايمان الاختبارى :

فالرسول بولس يقول أنا عالم بمن آمنت . . فإيمانه إيمان اختبارى ، ولأجل هذا هو موقن أن الله قادر أن يحفظ وديعته إلى اليوم الأخير .

هناك إيمان وراثى فقط ، وهناك إيمان شكلى مظهرى ، وهناك إيمان سطحى ، ولكن هناك إيمان اختبارى من نوع إيمان ابينا ابرهيم الذى اختبر حياة الله فى قلبه، وكان مستعداً أن يذبح ابنه طاعة لصوت الله . . ومن نوع إيمان العذراء مريم التى آمنت بكل ما قيل لها من قبل الرب واستسلمت تماما لمشيئة الله فى طاعة مذهلة «ليكن لى كقولك» . . الشاب الذى ليس له إيمان إختبارى باطنى لاتخضع إرادته لإرادة الله ، لأنه لايعرفها ، ولم يختبرها . وهو إنسان طبيعى يعتبر كل أمور الروح جهالة كما يعبر الرسول بولس ، أما الشخص المؤمن الحقيقى فانه يفهم مقاصد الله ويعرف رسالته فى الحياة ويوقن بأهمية السير وراء الرب فى الطريق الضيق . لأجل هذا هو مستعد أن يضحى بكل شىء فى سبيل الاحتفاظ بالطريق والحق والحياة .

يقول معلمنا بطرس الرسول « لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم سالكين فى الدعارة والشهوات وإدمان الخمر والبطر والمنادمات وعبادة الأوثان المحرمة » (١ بط ٤ : ٣) . فالذين تجددت حياتهم بالمعمودية لا يستطيعون أن يعملوا إرادة الأمم ولا يستطيعون أن يعودوا إلى الأركان الضعيفة ، ولا يمكنهم أن يمارسوا أعمال الظلمة التى كانوا يعملونها قبلا .

والذى يدعم إرادة الله فى حياة الشاب أيضا :

✝ الحب الالهى :

فمحبة الله التى تنسكب فى قلوبنا بالروح القدس هى وحدها القادرة أن تمنح

القوة للصمود وتعطى للإرادة صلابة وللضمير يقظة وللروح حرارة ولهيباً . . فعندما نطالع سير القديسين والشهداء ونلاحظ المواقف الجبارة التى صمد فيها هؤلاء الأبطال ، يكمن وراء هذه كلها حرارة المحبة التى ملأت قلوبهم ودفعتهم إلى أن يفرطوا فى كل شىء حتى حياتهم وبيوتهم وأولادهم ليكونوا أمناء للذى أحبهم ومات لأجلهم وقام .

فلنذكر الشماس الشهيد تيموثاوس الذى أراد الوالى أن يغير إرادته من جهة الإيمان فأتوا إليه بزوجته ، العروس الشابة وكان اسمها مورا ، وطلبوا منها بالقوة وتحت الضغط والإرهاب والتهديد أن تغرى زوجها العريس وتتوسل إليه بكافة التأثيرات العاطفية لكى يرجع عن إيمانه بالمسيح ، وعند اقترابها إلى زوجها المقيد ، إذا بهذا الشاب صاحب الإرادة القوية يقول لأبيه الواقف بجواره: من فضلك غط رأس زوجتى مورا لكى لا أشتم فيها هذه الرائحة الكريهة فتفسد إيمانى . . ولم تكن عندها روائح كريهة ولكنه رأى فى عدم عفتها وحشمتها رائحة كريهة ، وقد وعظها بكلام قوى وقال لها تعالى معى إلى معركة الاستشهاد الجميلة ، وظل يكلمها حتى تأثرت وأعلنت إيمانها للوالى ، الذى أمر بشد شعرها ففرحت كثيراً وقالت له : هلم بسرعة لأنك تعطينى فرصة لأكفر عن خطيتى لأنك كنت تريد أن أسقط زوجى بشعرى والآن سأنال الخلاص بتعذيبك لى عن طريق شعرى . . ويحكى لنا تاريخ هذا الشهيد أنه اتفق مع زوجته عندما يصلبان ألا ينعس واحد منهما ولا ينام إلى اللحظة التى تفارق فيها الروح الجسد .

قال أحد الشهداء للحاكم « استمروا فى تعذيبنا اطحنونا إلى مسحوق . فإن أعدادنا تتزايد بمقدار ما تحصدوننا » وقال آخر عندما اقتلع الوالى عينيه : « إنك باقتلاعك عينىّ الجسديتين ضاعفت فىّ حدة البصر الروحى »

لقد كان وراء هذا الصمود العجيب حب شديد للرب يسوع ، ونحن يعوزنا أن نحبه حباً صادقاً حتى تتجمع إرادتنا وتتحد فى إرادته ، ويصير هو الكل فى الكل ، الألف والياء ، البداية والنهاية .

العامل الثالث الذى يدعم الإرادة ويصقلها ويوجهها إلى الخير هو :

✝ صلب الجسد وقهر الذات

إن النفس لا يمكنها البلوغ إلى حرية مجد أولاد الله ما لم تقمع شهواتها ، والرب لم يُصلب إلا لكى نصلب نحن شهواتنا ، ولم يمت إلا لأجل أن نموت عن الخطيئة ونحيا له ، أتريد أن تخلص وتتحرر من نير العبودية ومذلة الشهوات ؟ إذن لابد أن تقاوم ميولك وأهواءك وتتمسك بزمام الحياة الداخلية، وتكبح جماح شهواتك ، وتميت النزعات الجسدية وتقوم وتحمل صليب يسوع ، وتنكر ذاتك ، وترفض كل ما هو عتيق فاسد ، لأن الذين هم للمسيح يسوع قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غل ٥ : ٢٤) . «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب مع المسيح ليبطل جسد الخطية كى لا نعود نستعبد أيضاً للخطية . لأن الذى مات قد تبرأ من الخطية .. كذلك أنتم أيضا احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا» (رو ٦ : ٦ و ٧ و ١١) فإن كنا أمواتا عن العالم فنحن أحياء بالمسيح وفى المسيح وللمسيح .

لنتذكر القديس العظيم الأنبا أنطونيوس الذى وقف أمام جثة والده وكان قد ترك له أطيانا كثيرة وممتلكات عدة . قال له ها أنت خرجت برغم أنفك ، أما أنا فسأخرج بإرادتى قبل أن يخرجونى كارها ! لقد وقف ضد ذاته وممتلكاته ليقتنى الحياة الأبدية التى هى الحياة الحقيقية .

إن صلب الجسد لا يعنى مقاومة الشهوات الجسدية الحسية فقط ولكنه يعنى أيضا محاربة الشهوات النفسية مثل الغضب والهوى والكبرياء والحقد . فداود النبى باخضاعه القوة الغضبية وإماتته روح الانتقام من شاول أظهر قوة أشد مما اظهرها بقتله جليات الجبار . يقول الكتاب المقدس «إن اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام ، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله وإن عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون» (رو ٨ : ٥ — ٧) .

يقول أحد الآباء الروحيين : الله روح كلى البساطة فما لم نتجرد بالمرة عن عبودية الشهوات الحسية لا نستطيع أن نلهج معه ونتأمل وصاياه . إن النفس

الروحانية مائلة إلى الروحيات ، وإرادتها لا تجد راحة إلا فى الشركة مع الله ، والنفس الجسدية تستعبد لشهواتها حتى أن أعظم عقاب ينزله الرب على إنسان ، هو أن يسلمه لشهواته وميوله الرديئة ، وكما لم يستحسنوا أن يبقوا الله فى معرفتهم أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق ، (رو١ : ٢٨).

وهناك عامل آخر يدعم الإرادة الروحانية فى حياتنا هو :

✝ الاستماتة فى حفظ الوصية :

وفى هذا يقول الكتاب المقدس فى العهد القديم ، أما دانيال فقد وضع فى قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه ، (دا ١ : ٨) .

لقد صمم على هذا .. لقد رتب حياته على هذا . لقد وضع فى قلبه أن يموت أفضل من أن يكسر وصية الله . هذا العناد المقدس هو الذى يُعطى للإرادة أن تكون صلبة ، ويسمح للروح القدس أن يدعم اتجاهنا الداخلى نحو مشيئة الله . لا بد أن إغراءات كثيرة حاربت دانيال مثل كلام الموظفين فى القصر ، ودسم المأكولات ومناظرها الشهية ، ولا بد أيضا أن تهديدات وجهت خشية عقوبة الملك التى قد تنصب عليهم وعلى الموظفين فى القصر ، ولكن دانيال وضع فى قلبه ألا يتنجس ..

ـــ ضع فى قلبك ألا تتنجس بالشهوة الجنسية ، صل للمسيح كثيرا من أجل هذا وقل له أعطنى القوة لكى أصمد وأصمم على حفظ الوصية ، وكما قال النبى عهداً قطعته ألا اتطلع إلى عذراء . هبنى نعمة هذا العهد الذى يحمينى من النظرات الشريرة والأفكار الدنسة والعادات الرديئة .

يُحكى فى تاريخ الكنيسة عن شابة أتى إليها أحد الشبان مراراً يداعبها ، وفى آخر مرة قالت له ماذا تريد منى؟ قال لها عيناك الجميلتان قد ملأتا قلبى هوى نحوك. فقالت له تمهل ، وسرعان ما أحضرت مخرازا وقلعت مقلة احدى عينيها وقالت له تفضل . ولما رأى الشاب الدم ينزف غزيراً هكذا تأثر تأثرا روحيا شديدا حتى تاب توبة حقيقية . إن إرادة الفتاة الصلبة تسربت قوتها إلى الشاب الشهوانى فمنحته قوة لغلبة أهوائه وشهواته .

ـــ ضع فى قلبك ألا تنجس أذنك بنكت قبيحة، أو هزار سخيف من الناس والشلل المنتشرة حولك . إذا صممت على هذا فسوف يعمل الروح على حمايتك من هذه العثرة .

ـــ ضع فى قلبك ألا تكره أحدا أو تحقد على أحد أو تظن السوء فى أحد ، وكلما رغب الشيطان فى زرع عداوة أو فكر شرير فى داخلك اقتلع أنت الزوان بالصلاة وحسن النية وأعمال المحبة نحو الذين يضايقونك

عامل أخير يدعم الإرادة الخيرة فى حياة الشباب وهو :

✝ الغيرة فى الحسنى

إذا كان الشباب يميل إلى التقليد والاستهواء والمشاركة فإن الكتاب المقدس وضع لنا أن نقلد ونقتدى بالقديسين فقط «تمثلوا بى كما أنا بالمسيح» وكلما اقترب المؤمن من القديسين عرف فقره وضعفه ومسكنته ، واختفت منه كبرياؤه وغطرسته واكتفائيته . فالكتاب يوصينا أن ننظر إلى نهاية سيرتهم ونتمثل إيمانهم ، ونتأمل فى غيرتهم وقدرتهم على قهر نفوسهم ، ومواظبتهم على العبادة وتدريب أنفسهم على الاتضاع والزهد واحتقار غنى العالم وأباطيله ..

إن المسيحى الحقيقى كالنحلة النشيطة تجمع عسلها من جميع الأزهار الجميلة ، يتعلم من واحد الصبر، ومن آخر الاتضاع، ومن ثالث الشجاعة ، ومن رابع الإيمان، ومن مرشد روحى الوداعة ، ومن أحد قديسى الكتاب الطاعة والقداسة ، ومن الرب يسوع نفسه نستطيع أن نقتدى بكمالاته لأنه هو الذى قال بفمه الطاهر : تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب . وقد علمنا الآباء أن من يريد أن يتعلم إحدى الفضائل يلتصق بقديس اختبرها وامتلأ من ثمارها ومواهبها .. وعندما تكلم الرسول بولس عن المواهب الروحية فى رسالته الأولى إلى كورنثوس طوّب عملية الاجتهاد فى طلبها إذ قال : ولكن جدوا للمواهب الحسنى وأيضا أريكم طريقا أفضل وهذا الطريق الأفضل هو المحبة التى قال عنها فى (١ كو١٣ : ١٣) « أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة . ولكن أعظمهن المحبة » وهكذا جمع بين المحبة والمواهب الروحية بقوله فى مطلع الأصحاح الرابع عشر

من نفس الرسالة « اتبعوا المحبة ولكن جدوا للمواهب الروحية » . ومعنى هذا أن الغيرة فى الحسنى مطلوبة ، ولكن على شرط ألا تخرج عن دائرة المحبة التى لنا فى المسيح ، لئلا تدخل فى نطاق الذات والغيرة المرّة والعداوات ، هذه التى تتجه نحو جهنم ..

ولنسأل أنفسنا ما الذى يعطل ارادتنا عن أن تتدعم فى الحياة التى لنا فى المسيح يسوع ؟

إن أول معطل هو **البر الذاتى** والطموح الذاتى : « إن أول معطل يضعف إرادتنا عن أن تتحد بإرادة المسيح هو البر الذاتى ، إحساسنا أننا أطهار وليس فينا عيب ! حتى إذا ما ذهبنا لأب الاعتراف لا نجد ما نعترف به لأن كل حياتنا طيبة وأخلاقنا جيدة . هذه الحالة تنتج من دوراتنا حول أنفسنا ومقارنة حياتنا بحياة الشبان الأشرار الذين حولنا فى المعاهد والكليات ولكن إن فحصنا أنفسنا على ضوء كلمة الله فإننا نكتشف أننا فى الموازين إلى فوق ، ونتأكد من عوزنا واحتياجنا . وقد سبق الرب وقال : طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . والذى يزيد البر الذاتى فينا هو فتح آذاننا لسماع المديح من الناس ، وخاصة عندما ننجح فى بعض الأعمال والتصرفات والخدمات . وهكذا يدخل الشيطان من خلال تركنا حياة التوبة وفحص الذات فحصاً دقيقاً ، وجعلنا نلتفت إلى آراء الناس ومديحهم ، وبذلك نفقد الإرادة الصالحة . ومن الأمور التى تميت الإرادة الصالحة فى حياة الشاب المجد الباطل . فهو لص يسرق كل أمتعتنا ويسلبنا كل ثمار جهدنا ، قال القديس اغريغوريوس « إن المجد الفارغ لص مخفى متنكر يرافق المسافر كأنه مثله عابر سبيل ، وبعد ذلك يختلسه ويقتله حينما يكون أقل حرصاً على ذاته ويظن أنه فى سلامة !! وقال عنه القديس باسيليوس « إنه يختطف الكنوز الروحية بحلاوة وهو يعد أنفسنا بلذة ، فالله لا يرفع متكبراً بل يقاومه ، وإنما يرفع المسكين والمحتاج والمتذلل له إذ مكتوب عنه « الرافع المسكين من

التراب والباس من المذبلة، وهناك تدريب رافع أعطانا إياه الرسول بولس وهو: « إن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فافعلوا كل شيء لمجد الله . . إن كان أحد يتكلم فكأقوال الله » (١ كو ١٠ : ٣١) .

وإن كان أحد يخدم فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين (١ بط ٤ : ١١) ولنتذكر قول سليمان الحكيم : « كبرياء الإنسان تضعه والوضيع الروح ينال مجداً » أم ٢٩ : ٢٣ .

ومن الأمور التي تضعف إرادتنا التي لنا في المسيح :

✝ كلام الناس :

فإن الشاب يعيش في مجتمع ، ومن الأمور الطبيعية أن يكون للجو الاجتماعي تأثيره . ولكن الشاب الروحي لا يدع حياته كريشة في مهب الرياح ولا يسمح لمبادئه واتجاهاته وأهدافه أن يحددها الناس ، وإنما هو حريص على أن تبقى الحياة الداخلية مغلقة مكرسة تماماً للرب « أختي العروس جنة مغلقة . عين مقفلة . ينبوع مختوم » وعلى ذلك يستطيع المسيحي أن يؤثر في الناس دون أن يتأثر بالأمور الرديئة التي في الناس . فالرب يسوع شبّه المؤمنين بالملح الجيد ، والملح يُعطي للتربة ملوحته دون أن يأخذ من الأرض عفونتها . والنور يبدد الظلمة . والظلمة لا تدركه . وكلما كان الإنسان متأكداً من رسالته ومتعمقاً صدق أهدافه فإنه لا يهتز لما يقوله الناس . يذكر في تاريخ الكنيسة إن اثناسيوس الرسولي قيل له : العالم كله ضدك ياأثناسيوس فقال : وأنا أيضاً ضد العالم » حتى سُمي اثناسيوس « الذي هو ضد العالم » . . والرسول بولس يقول لأهل كورنثوس في الرسالة الأولى « وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكم فيّ منكم أو من يوم بشر . بل لست أحكم في نفسي أيضاً . فإني لست أشعر بشيء في ذاتي . لكنني لست بذلك مبرراً . ولكن الذي يحكم فيّ هو الرب . إذاً لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب ، وحينئذ يكون

المدح لكل واحد من الله » (١ كو ٤ : ٣ — ٥) .

ويعطينا الكتاب المقدس نموذجاً رائعاً لغلبة الأجواء الاجتماعية ، وهو شخصية موسى النبي الذى بالإيمان لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون ، مفضلا بالأحرى أن يُذل مع شعب الله عن أن يكون له تمتع وقتى بالخطية . حاسباً عار المسيح غنى أفضل من كل خزائن مصر . وفى هذا الصدد يقول الرب يسوع . « كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض ، وفى موضع آخر يقول: « ويل لكم إن قال فيكم كل الناس قولا حسناً » أى أن المسيحى لا يسعى إلى إرضاء الناس فى اتجاهاتهم المنحرفة ولكنه إذ يأخذ المسيح فى قلبه فاديا ومخلصا ومرشداً وموجها ، يستمد من الروح القدس الإلهام والقيادة ويدع الناس يقولون ما يشاءون ويحرص كل الحرص أن يعيش بضمير صالح بلا عثرة أمام الله والناس.

الاندفاع :

ومن الأمور الخطيرة التى تضعف الإرادة الروحية الاندفاع وعدم التريث ، وأخذ القرارات من واقع إرادة الذات ، والفكر البشرى دون التريث واستشارة الرب فى كل شىء ، هذا الاندفاع قد أورث كثيرين هلاكا .

فلنذكر مثلا شاول الملك الذى اندفع وقدم الذبيحة لأنه وجد أن صموئيل النبي قد تأخر ، ومع أن تقديم ذبيحة لله أمر ليس رديئا ، لكن صموئيل أفهم الملك بعد وصوله أن الله لم يقبل منه تقديم الذبيحة لأنه ليس كاهناً ، ولأنه إندفع ولم يطع الوصية وأفهمه أن الاستماع أفضل من الذبائح ، والطاعة أفضل من تقديم الكباش ، ونزل القصاص على شاول ، إن الله سيقسم مملكته كما تمزقت جبة صموئيل عندما أمسك به شاول بعد الحديث الذى دار بينهما .

ويقال فى تاريخ الكنيسة إن أريوس إندفع فى إحدى العظات وشرح آية . « أبى أعظم منى » شرحا منحرفا ولأجل قساوة رقبته رفض أن يتراجع ، وملك عليه الشيطان وأخذ يدعم فكره بالآراء المنحرفة وتفسيرات خاطئة للآيات .

وقد يندفع الشاب فى الحديث مع والديه أو اخوته ومثل هذا الاندفاع يسبب مشكلة خطيرة فى البيت تسبب نكدا وغما وخسائر كثيرة ، لأجل هذا نحن نحتاج إلى تدريب أنفسنا على التريث والهدوء فى الفكر والقلب والتصرف وإعطاء الرب فرصة أن يقود سلوكنا وتصرفاتنا مهما كانت صغيرة أم كبيرة ، بسيطة أم هامة . فى كل شىء لنتدرب على أن نعطى روح الرب القيادة الحقيقية.

وهناك عامل آخر وهو :

✝ المفاوضات مع العدو:

عندما أرسل الرب موسى لكى يخلص شعبه من العبودية يشرح لنا سفر الخروج كيف أن فرعون رفض أن يسمع لموسى وهرون ، وكيف شدد النير على شعب الله فأرسل الرب ضربات كثيرة على المصريين ، وهنا حاول فرعون أن يدخل مع موسى وهرون فى مفاوضات، فمرة يقول « لاداعى للذهاب بعيدا ، أنا أطلقكم ولكن إذبحوا للرب قريبا هنا وصليا لأجلى » (خر ٨ : ٢٨) ، ومرة أخرى يقول لهم « لا داعى أن تخرجوا كلكم . اتركوا أولادكم هنا واذهبوا أنتما لتعبدوا الرب » ولما رفض موسى هذه العروض اقترح فرعون الذى يمثل الشيطان « إذهبوا اعبدوا الرب غير أن غنمكم وبقركم تبقى ».فقال موسى «تذهب مواشينا أيضا معنا . ولا يبقى ظلف » خر ١٠ : ٢٧ .

لا يبقى ظلف لأن هذا هو أمر الرب للخلاص .. فقصة المفاوضات بين موسى وفرعون هى مثل ما يحدث بين الشيطان وكل شاب فينا يريد حياة التوبة وحياة الإرادة الموحدة الذى يصلى قائلا « وحد قلبى فى خوفك » . يقول له الشيطان : حسن أن تبقى فى حياة الخطية ولا مانع من الذهاب إلى الكنيسة للعبادة وإن رفض هذا العرض يقول له: لا مانع من الابتعاد عن الأماكن المعثرة ، ولكن لا مانع من أن ترتبط فكريا بها وإن أبت النفس هذه العروض يطلب ولو شهوة واحدة أو عرقلة عن التسبيح للرب .

ولكن التوبة الحقيقية لا تقبل هذه المفاوضات ، والنعمة تكسر كل كبرياء

فينا ، وتطفىء كل شهوة مستعرة ، وتهز كل جمود الأنانية وتحجر القلب . وتنير لنا مواضع الضعف حتى نقوم من سقطاتنا لكى نعمل أعمالنا الأولى ونحفظ منارتنا فى مكانها (رؤ ٢ : ٥) .

† الترف

ومن المعطلات التى تمنع الشباب من أن يحيا حياة الصلابة الحقيقية والرجولة المسيحية الترف والتدلل (الدلع) وهذه هى مشكلة الجيل كله ، فالمجتمع بكل وسائله يسعى إلى تقديم وسائل الترف والراحة . . هذه التى لم يكن يتمتع بها آباؤنا وأجدادنا حتى أن أصعب الموضوعات فى التعلم أصبحت تقدم لنا من خلال الأجهزة الحاسبة والعقل الإلكترونى ووسائل الأعلام المختلفة .

إن الحضارة والمدنية المعاصرة شجعت الشباب على الترف والتدلل ، كما أن كثيراً من البيوت سايرت روح العصر وشجعت أولادها على عدم التغصب وإجابة كل متطلباته سواء كان هذا حسنا أو رديئاً حتى أن الشباب فقد كثيرا من الصلابة والحزم والإرادة الداخلية الحرة . ولا علاج لهذا الترف إلا بالصلاة العميقة والتوبة المستمرة والدموع الساخنة والخلوات المنظمة والنسك والأصوام المتواترة حتى تتقوى الإرادة وتنتصب طالبة معونة الله ونعمته ورحمته .

وفى الكتاب المقدس مثال لأثر الترف فى حياة الناس وهو داود النبي هذا الجبار الذى قال عنه الكتاب: فتشت قلب عبدى داود فوجدته حسب قلبى . وفى موضع آخر نجد داود يقتل أسداً ودباً ، بل ويهاجم جليات الجبار بمقلاع وقليل من الحصى . هذا العملاق ينهزم ويسقط فى خطية الزنا . والسر فى هذا هو الترف ، فقد سمح لنفسه أن يعيش على مستوى الملوك وأخذ يتمتع بامتيازات الملوك وامتنع عن أن يذهب للحرب تاركا لغيره هذه المهمة ، وكانت النتيجة أن داود صعد إلى سطح بيته فنظر واشتهى ثم سقط ، وكان سقوطه عظيما .

وهكذا نحن نحتاج فى هذه الأيام إلى شباب يدرب نفسه على مقاومة الهزار والكلام الكثير والأكل الكثير والشهوات الداخلية . وقديما قال سليمان إن ضابط نفسه أعظم من فاتح مدينة .

وفى ختام كلمتنا يطالعنا الرسول بولس بقوله « فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر . بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو١٢: ١و٢) .

✝ فهى إرادة صالحة ونحن نحتاج إلى إرادة صالحة والإرادة الصالحة هى التى تهدف إلى الصلاح والحياة من أجل المسيح . ولكن هذا لا يكفى ..

✝ يلزم أيضا أن تكون إرادة مرضية وهى لا تكون مرضية فى حياتنا إلا إذا كانت الوسائل متفقة مع الأهداف. فقديما قال ميكافللى إن الغاية تبرر الوسيلة، ولكن المسيحية تشجب هذا الاتجاه وترى أن الغاية والوسيلة يلزم أن يكونا فى إطار الحق ، ولا نستطيع أن نحارب حروب الرب بأسلحة الشيطان .

ـــ ويلزم أن تكون كاملة ، وهى لا تكون كاملة إلا إذا كان الروح القدس هو العامل فينا والمدعم إرادتنا ، والملغى كل مشيئة بشرية حتى تكون كل خفقة من خفقات قلوبنا ، وكل سكنة من سكنات حياتنا متفقة مع إرادة الله التى فينا وروحه القدوس العامل فينا .

ليعطنا الرب نعمة أن نكون أمناء فى حياتنا وفى تسليم إرادتنا للرب حتى نقول مع الرسول بولس « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ » .

رقم الايداع ١٩٧٣/٣١١٩

دار الطباعة الفرنسية ٤ حارة بغائيل حدائق الفالة

تاريخ الورود :